المحاضرة:05 الجماعة اللّغوية والتّنوّع اللّغوي

1 . مفهوم الجماعة اللغوية: إنّ تحديد الجماعة اللغوية يُسهِّل على الباحث دراستها. وقد كان اللسانيون يُحدِّدون الجماعة اللغوية بالتركيز على اللغة، إذ يرون أنّ الجماعة اللغوية هي "كلّ الناس الذين يستعملون لغةً أو لهجةً معيّنة"، أو هي مجموعة من الناس يرتبط بعضهم ببعض بواسطة لغة مشتركة.

أمّا اللغويون الاجتماعيون، فلا ينظرون إلى الجماعة اللغوية على أنّها مجموعة من الناطقين الذين يستعملون الصيغ اللغوية ذاتها، بل نجد لابوف، على سبيل المثال، ينظر إلى الجماعة اللغوية كـ"زمرة تتقاسم نفس المعايير من حيث اللغة" أو كزمرة من الناطقين يشتركون في مجموعات من السلوكات الاجتماعية إزاء اللغة. ويعرّفها قومبرز بأنها هي ((المجموعة الاجتماعية التي قد تكون أحادية اللغة أو متعددة اللغات، وتشيع فيها نماذج تفاعل اجتماعي، يغايرها عن المناطق المحيطة بها ضعف خطوط الاتصال)). ويعطي أمثلة لهذه التجمعات بالأمم المنقسمة إلى أقاليم فرعية أصغر، أو الجماعات المتجاورة... الخ، ويرى أنّ "الدراسة اللغوية الاجتماعية للجماعات اللغوية تعالج التشابهات والفروق اللغوية بين هذه الأنواع اللغوية". كما يرى أنّ الأنواع اللغوية المستعملة داخل الجماعة اللغوية تشكل نظاما، لأنها ترتبط بمجموعة من المعايير الاجتماعية.

يركّز هايمز ولابوف في تعريفاتهما للجماعة اللغوية على المواقف، والاتجاهات، والمعايير المشتركة، أكثر من تركيزهما على السلوك اللغوي الموحَّد. فبالنسبة لهذين العالِمين، تُشير الجماعة اللغوية إلى وجود خصائص معيّنة تجعل أفرادها يشعرون بأنّهم ينتمون إلى جماعة واحدة، ليس فقط من خلال الممارسات اللغوية، بل من خلال الإمكانيات المتعددة التي تتيح لهم التفاعل فيما بينهم.

في المقابل، ينظر اللسانيون البنيويون إلى الجماعة اللغوية باعتبارها "مجموعة من الناس يتحدثون لغة واحدة"، مع تركيزهم على المعايير اللغوية (النحوية، والصوتية، والمعجمية...) وعلى الاشتراك في السلوك اللغوي.

فالجماعة اللغوية، إذا، في منظور علم اللغة الاجتماعي، لا يجمعها فقط اشتراك أفرادها في لغة واحدة، بل يجمعها أيضا امتلاكهم سجّلات لغوية متنوّعة (Répertoires).

2 . التنوعات اللغوية: يوجد اتجاهان متضادان في حياة اللغة وهما: **الأول** هو اتجاه نحو التنويع والانقسام، و**الثاني** هو اتجاه نحو التوحيد والتخلّص من الفروق اللغوية.

وكثير هم اللغويون اللذين يرون أنّ الوضع الطبيعي للغة هو الاتجاه نحو التنوّع والانقسام والتوزيع، وبالتالي ينشأ التعدد والتشعب والتفرّق.

فهناك، عبر تاريخ البشرية، انقسام مجموعة كبيرة جدا من اللغات المشتركة إلى لهجات متعددة، كتفرع اللاتينية إلى فرنسية وايطالية وإسبانية وبرتغالية، والسامية إلى عربية وعبرية وسريالية، وتنوّع العربية إلى مصرية، وسورية ولبنانية ومغربية ...الخ. وكتفرّع الجزائرية إلى لهجات متنوّعة. وهذا كلّه هو ما أدى بالباحثين إلى الاعتقاد بوجود قانون طبيعي يؤدي حتما إلى تشعب اللغات وانقسامها. وقد تمسّكوا بهذا المبدأ بسبب تعدد لغات العالم وكثرتها في الوقت الحالي مقارنة مع لغات الأزمان الماضية بالنظر إلى عدد السكان المتزايد.

مفهوم التنوّعات اللغوية (variations linguistiques): هي ضروب استعمال اللغة. ومصطلح التنوّع مخالف لمصطلح (التوحد) الذي يشير إلى التخلص من الفروق اللغوية.

وهناك من ترجم مصطلح (**variation**) بـ(التباين)، ومن ترجمه بـ(مستويات) كما في (مستويات اللغة)، وهناك من ترجمه بـ(التغير) كما في التغير اللغوي، وهناك من ترجمه بـ (المتغير).

ويعرفه فرجسون Ferguson بأنّه "مجموعة من نماذج الكلام الإنساني، متجانسة التكوين، يمكن تحليلها بواسطة أساليب التحليل السانكروني المتوافرة، وفيها ذخيرة من العناصر بترتيباتها أو عملياتها، ومجال دلالي واسع يعمل في كلّ سياقات الاتصال الرسمية".

يسمح لنا هذا التعريف بأن نطلق اسم التنوع اللغوي على أي اللغة أو شيء أكبر من اللغة، أو شيء أقل حتّى من اللهجة، فنسمي اللغة برمتها تنوعا، ونسمي أيضا مجموعة الاستعمالات اللغوية التي ترتبط بها منطقة خاصة أو جماعة اجتماعية تنوعا لغويا. ويُعرَّف التنوّع اللغوي، في هذه الحال، بالنظر إلى مجموعة من المواد اللغوية كالأصوات والكلمات والسمات النحوية

...الخ، أي أنّ ما يجعل تنوعا لغويا يختلف عن الآخر هو المواد اللغوية التي يتضمّنها. وكثيرا ما تتعايش في صلب اللغة الواحدة أشكال وصيغ مختلفة لمدلول واحد.

ويرتبط هذا الاختلاف والتغير بعامل خارجي هو المنطقة الجغرافية أو الجماعة الاجتماعية، فيمكنها أن تكون تنوعات جغرافية (أبعاد جغرافية مكانية)، أو اجتماعية (أبعاد ثقافية واجتماعية كالعمر والنوع والمنزلة).

أ. التنوعات الجغرافية: حيث يمكن للغة الواحدة أن تُنطق بأشكال مختلفة، أو يمكن أن يكون لها رصيد إفرادي مختلف في أماكن مختلفة من القطر.

وتحدث تشعبات اللغة على شكل موجات، نتيجة ازدياد المسافة الجغرافية، حيث يرى بعض الباحثين أنّ تنوعات الكلام قد **انتشرت** من منطقة لغوية يكون منها تأثير على اللغة المجاورة وتؤثر تدريجيا على اللغات البعيدة، وهي تشبه موجات الماء التي تتشعب من نقطة مركز الاتصال.)

ب . التنوعات الاجتماعية: التنوّع الاجتماعي ظاهرة لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات، وتُعتبر اللغة عنصرا مهما لتمييز شريحة عن أخرى، إذ تتميز لغة الأطفال عن لغة البالغين، ولغة المثقفين عن لغة الأميين، ولغة طائفة دينية عن طائفة أخرى، ولغة المدرسين عن لغة المزارعين عن لغة القضاة وعن لغة الأرستقراطيين ...الخ، ولغة أهل المدينة عن لغة أهل الريف أو أهل البادية

ومن التنوعات اللغوية المعروفة: **اللغة، واللهجة والسجل اللغوي[1].**

---

[1]- السجل اللغوي (*Répertoire*) يُشير إلى مجموعة الأساليب أو الأنماط اللغوية التي يمتلكها الفرد أو الجماعة، ويستخدمها حسب المواقف الاجتماعية المختلفة. يشمل ذلك اللغة أو اللهجة، ونوع المفردات، وطريقة النطق، وحتى مستوى الرسمية في الكلام. **ببساطة :**السجل اللغوي هو "كيف تتكلم ومع من"، حسب السياق.

مثال: طالب يتحدث بطريقتين:

1. **في الجامعة مع أستاذه:**

"أعتقد أن البحث يحتاج إلى مزيد من التحليل المنهجي، خاصة في القسم النظري".

←هذا **سجل لغوي رسمي**.

2. **مع أصدقائه في المقهى:**

"البحث تعّبني شوية ، بصح أظن أموري ماشية".

←هذا **سجل لغوي غير رسمي/عامي**.

الشخص نفسه، لكن يُفعّل سجلًا لغويًا مختلفًا حسب الموقف الاجتماعي. وكلما كان الشخص يملك قدرة على التكيّف بين هذه السجلات، كلما كانت كفاءته التواصلية أعلى.

إنّ الجماعة اللغوية تُعدّ بمثابة شبكة تواصل متداخلة ومعقّدة، يتواضع جميع أفرادها على معرفتها. وتتميّز هذه الجماعة، من جهة، باعتمادها مجموعة من المعايير التي يتّفق عليها أفرادها في استعمالاتهم اليومية، ومن جهة أخرى، باستخدامها لمجموعة من التنوّعات اللغوية (*variétés*)التي تُشكّل ذخيرتها اللغوية.

ورغم أن كثيرًا من أفراد الجماعة اللغوية قد يجهلون بعض هذه التنوّعات أو لا يستعملونها فعليًا، فإنّهم مع ذلك قادرون على فهم القواعد التي يستند إليها الآخرون من أفراد الجماعة ذاتها في تحديد الاستعمال المناسب لكل تنوّع.

وفي سياق التفاعل، يسعى المتكلّم إلى التخلّي عن المتغيرات اللغوية الخصوصية، وتكييف كلامه بما يتناسب مع مخاطبه، وتيسيره من أجل تحقيق التفاهم؛ وهو ما يُعرف في الدراسات اللسانية الاجتماعية بمفهوم "التكيّف.(*accommodation*) "